مكتبة عنيزة

مخطوطة

قاعدة جامعة في توحيد اللّه والعمل له

المؤلف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن رياض الصالحين رياض

يارب صل على البشير وعفو وشافع

٢٨

هذه قاعدة للشيخ ابن تيمية جامعة في توحيد الله
وإخلاص العمل له عبادة واستعانة
بدأ في نسخها صبح الخميس أحد
عشر نهار رمضان سنة
سبع من الهجرة
بعد المائتين
والألف
وفق
تم

وقف

فائدة:
وليتم تعارين أنا يفعلان
فعل الطاعات اجتنابا
من ترك المعصية خوفا من
عقوبة وجها

لكاتبه عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين

أشهد الله سرا وجهرا ... وكل من في البسيطة طرا
بأنني بذنبي ... فليس لي في غد عذرا
فإن يعذبني فبمحض عدله ... وإن يعف فهو له أحرى

لكاتبه أيضا عفا عنه آخرا

ألا ليت الذي من بالإسلام ... علي قبل معرفة الحرام
حديدا إياه يغرز في فؤادي ... بليت وإن يدخلني دار السلام

الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ابتدأ الله تعالى ونفع به

الحمد لله رب العالمين وانشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

قاعدة جامعة في توحيد الله واخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة

قال الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير وقال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقال تعالى فاعبده وتوكل عليه وقال عليه توكلت واليه انيب وقال تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى قل ان يمسسكم الله بضر هل هن كاشفات ضره او اراد ني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة

عنده

عنده الا لمن اذن له وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان
ربك كان محذورا وقال تعالى ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو
كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال تعالى وتوكل
على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
الرحمن فاسئل به خبيرا وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ونصائر هذا في القرآن كثير وكذلك في الاحاديث
وكذلك اجماع الامة ايما اهل العلم والايمان منهم فاذا هذا عندهم
فطبق ما جاء الدين كله هو الواقع وبيان هذا بوجوه نقدم قبلها مقدمة
وذلك ان العبد بل وكل حي شيء الله بل وكل مخلوق هو فقير محتاج
الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة التي هي من جنس
النعيم واللذة والمضرة هي من جنس الالم والعذاب فلا بد له من
امر يتناوله هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع ويلتذ به
والثاني هو المعنى الموصل المحصل لذلك المقصود والملائم من دفع
المكروه وهذان هما السببان المتصلان الفاعل والغاية فهنا ان ثمة
اشياء احدهما امر هو محبوب مطلوب الوجود والثاني امر مكروه مبغض
مطلوب العدم والثالث الوسيلة الى حصول المطلوب والرابع الوسيلة
الى دفع المكروه فهذه الاربعة امور ضرورية للعبد

بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه الا بها واما ما ليس بحي فالكلام
فيه على وجه آخر اذا تبين ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه احدها
ان الله هو الذي يجب ان يكون هو المقصود على دفع المكروه وما
سواه هو المكروه به وهو المعين على دفع المكروه وهو سبحانه يحصل
الامور الدينية دون ما سواه وهذا معنى قوله اياك نعبد واياك
نستعين فان العبودية تتضمن القصد المطلق لكن على اكمل الوجوه
والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب فالاول من
معنى الوهية والثاني من معنى ربوبيته اذ الاله هو الذي قوله
فيعبد محبة وانابة واجلالا واكراما والرب هو الذي يربي عبده
فيغذيه خلقه ثم يهديه الى جميع اصوله من العبادة وغيرها
وكذلك قوله تعالى عليه توكلنا واليه انبنا وقوله فاعبده وتوكل عليه
وقوله عليك توكلنا واليك انبنا وقوله وتوكل على الحي الذي لا يموت
وسبح بحمده وقوله عليه توكلت واليه متاب وقوله وتبتل اليه
تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فهذا مبنى هو اصل
تنتظم هذين الاصلين الوجه الثاني ان الله خلق الخلق
لعبادته الجامعة لمعرفته والانابة اليه ومحبته والاخلاص له
فبذكره تطمئن قلوبهم وبرؤيته في الاخرة تقر اعينهم ولا شيء
يعطيهم في الاخرة احب اليهم من النظر اليه ولا شيء يعطيهم في الدنيا
انفع من الايمان به وحامتهم اليه من عبادتهم اياه وبناء
اياه كما تحبهم واعظم في خلقه لهم وربوبيته اياهم فان ذلك

هو الفاتح

هو الغاية المقصودة لهم وبذلك يصيرون عاملين مجدين ولا صلاح لهم
ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة بدون ذلك بل هو كما ذكر
ربه فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ولهذا كان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولهذا كانت لا اله
الا الله اصل الحسنات وكان التوحيد يقول لا اله الا الله اس
الامر فما سواه تبع له بل هذا الذي امر به الخلق وقرره اهل الكلام
فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم وهذا معنى ما روي يا ابن آدم
خلقت كل شيء لك وخلقتك لي فبحقي عليك لا تشتغل بما
خلق لك عما خلقت له واعلم ان هذا حق الله على عباده
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا كما في الحديث الصحيح الذي رواه
معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتدري ما حق الله على عباده
قال قلت الله ورسوله اعلم قال حق الله على عباده ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا
ذلك قال قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم ان لا يعذبهم وهو
كما ذكر ويرضى به ويرضى عن اهله ويفرح بتوبة التائب
كما ان في ذلك لذة العبد وسعادته ونعيمه وقد بينت بعض
معنى محبة الله لذلك وفرحه به في غير هذا الموضع فليس في الكا
ئنات ما يمكن العبد اليه ويطمئن به وينتفع بالتوجه اليه الا
الله سبحانه وصفا عبد غير الله والى غيره وصل له به مودة
في الحياة الدنيا وتوع منا اللذة فهي مضنة لصاحبها اعظم

من مفسدة اللذة ذات كل الطعام المسموم فلو كان فيها الهة الامم
لعبدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون فان قوله بالاله الحق
فلو كان فيها الهة غير الله لم يكن الها صالحا في انه لا شبيه له ولا
مثل فكانت تفسد لا بقاء لها بصلاحها هذا من جهة الالهية
واما من جهة الربوبية فشيء آخر كما يقرره في موضعه المتكلمون
واعلم ان فقر العبد الى ان يعبد الله لا يشرك به شيئا ليس له
نظير فيقاس به لكن يشبهه من بعض الوجوه حاجة الجسد الى
الطعام والشراب وبينهما فروق كثيرة فان صفقة العبد قلبه
وروحه وهو لا صلاح لها الا بالهها الذي لا اله الا هو فلا
تطمئن في الدنيا الا بذكره وهو كادحة اليه كدحا فملاقيه ولا بد لها
من لقائه ولا صلاح لها الا بلقائه ولو حصل للعبد لذة بشيء دون
بعض الله فلا بد يوم ذلك بل ينتقل من نوع الى نوع ومن شخص
الى شخص وينتفع بهذا في وقت وفي بعض الاحوال وتارة يلحق
ذلك الذي ينتفع به واللذة غير منفع له بل قد يوقعه اشتغاله به
وجوده عنده ويضره ذلك واما الهه فلا بد له منه في كل
حال وكل وقت وانما كان فقره وحده اقال الامام ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام لا احب الآفلين ولهذا
كان اعظم آية في القرآن الله لا اله الا هو الحي القيوم وقد بسط
الكلام في معنى القيوم في موضع آخر وبينا ان الدائم الباقي
الذي لا يزول ولا يعدم ولا يفنى بوجه من الوجوه والله اعلم

انا هذا

انّ هذا الوجه مبنيّ على اصلين احدهما انّ نفس الايمان بالله وعبادته
ومحبّته واجلاله هو غاية الانسان وقوّته وصلاحه وقوامه وكمال علم
اهل الايمان وكما دلّ عليه القرآن لا كما يقوله من يعتقد من اهل الكلام
وخصومهم انّ عبادته تكليف ومشقّة وخلاف مقتضى القلب المجرّد
الامتحان والاختبار ولاجل التعويض بالاجر كما يقوله المعتزلة
وغيرهم فانّهم قالوا انّ كان في الاعمال الصالحة ما هو على خلاف هوى
النفس وامره سبحانه بالصبر للعبد على الاعمال المأمور بها مع المشقّة
كما قال ذلك بانهم لا يصبرون جزاء ولا نصب الا فيه وقال صلّى الله
عليه وسلّم لعائشة اجرك على قدر نصبك فليس ذلك هو المقصود
الاول بالامر الشرعي وانّما وقع ضمنا وتبعا لاسباب ليست هذا موضعها
هذا يفسّر في موضعه وهذا ممّا يجيء في الكتاب والسنّة و
كلام السلف اطلاق القول على الايمان والعمل الصالح انّه تكليف كما
يطلق ذلك كثير من المتكلّمة والمتفقّهة وانّما جاء في القرآن ذكر
التكليف في موضع النفي كقوله تعالى لا يكلّف الله نفسا الا وسعها
لا تكلّف الا نفسك لا يكلّف الله نفسا الا اتاها ايّاه وان وقع
في الامر تكليف فلا يكلّف الا قدر الوسع لانّه يشمل جميع الشرع
حتّى الامر بتكليف مع انّ غالبها فرض العين وسر ما للقلوب ولذّات
الارواح وكمال النعيم وذلك لارادة وجه الله والانابة اليه
وذكره وتوجيه الوجه اليه فهو الاله الحقّ الذي تطمئنّ اليه القلوب
ولا تعدم غير مقامه في ذلك ابدا فاعبده واصطبر لعبادته

هل تعلم له سببا غير هذا الاصل الاول والاصل الثاني ان النعيم في الدار الاخرة
اصابه مثل النظر اليه لا كما تزعم طائفة منا اهل الكلام ونحوهم انه
لا نعيم ولا لذة الا بالمخلوق من المأكول والمشروب والمنكوح ونحو ذلك
بل اللذة والنعيم التام في حظ من الخالق سبحانه وتعالى كما في الدعاء
المأثور اسالك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء
مضرة ولا فتنة مضلة رواه النسائي وغيره وفي صحيح مسلم وغيره عن
صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى
منادٍ يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون
الم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة
ويجيرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه سبحانه فما
اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة فمعنى النبي صلى
الله عليه وسلم انهم مع كل نعيم بما اعطاهم الله في الجنة لم يعطهم
شيئا احب اليهم من النظر اليه وانما يكون احب اليهم لان نعيمهم به
وتلذذهم به اعظم من النعيم والتلذذ بغيره فان اللذة تتبع
الشعور بالمحبوب فكل ما كان الشيء احب الى الانسان كان حصول له
اللذة وتمتعه به اعظم وقد روي ان يوم المزيد وهو يوم الجمعة
من ايام الاخرة مثل الاحاد في الليل والنهار وبها تصدق هذه
وهذا قال في حق الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم
لصالوا الجحيم فعذاب الحجاب اعظم من انواع العذاب ولذة
النظر الى وجهه اعلى اللذات والنعيم حظوظهم منا سائر

المخلوقات

المخلوق فان مقام حظهم من الله تعالى وهذا ان الاصل ان شيخنا ان بالكتاب
والسنة وعليهما اهل العلم والايمان ويتكلم فيهم مشايخ الصوفية
الطائفة وعليهما اهل السنة والجماعة وعوام الامة وذلك
من فطرة الله التي فطر الناس عليها وقد يحتجون على من ينكرها با
لنصوص الواردة بالذوق والوجد اضرع اذا ذاق الكذة
فان ذوقها وجدها يبين انكارها وقد يحتجون بالقياس وامثال
تارة وهو الاعتبار العقلية

الوجه الثالث

ان المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع ولا هدى ولا
ضلال ولا نصر ولا خذلان ولا خفض ولا رفع ولا عز ولا ذل بل ربه
هو الذي خلقه ورزقه ويضره وهداه واسبغ نعمه عليه فاذا مسه
الله بضر لم يكشفه عنه غيره واذا اصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه
والعبد فلا ينفعه ولا يضره الا باذن الله وهذا الوجه اظهر للعامة
من الاول ولهذا خوطبوا به في القرآن اكثر من الاول لكن اذا تدبر اللبيب
طريقة القرآن وجد ان الله يدعو عباده بهذا الوجه الى الاول وبهذا
الوجه يقتضي التوكل على الله والاستعانة به والدعاء وسائر
دون ما سواه ويقتضي ايضا محبة الله وعبادته لاحسانه الى عبده
واسباغ نعمه عليه وحاجة العبد اليه ولكن اذا عبدوه واحبوه و
توكلوا عليه من هذا الوجه دخلوا في الوجه الاول ونظروا الى
انه من نزل به بلاء عظيم وفاقة شديدة او خوف مقلق فيجعل
يدعو الله ويتضرع اليه حتى فتح له من لدنه مناجاته وعظم
الايمان به والانابة اليه ما كان احب اليه من تلك الحاجة الى

قصدها اولا ولكنه لم يكن يعرف ذلك اولا حتى يطلبه ويشتاق اليه
والقرآن مملوء من ذكر حاجة العبد الى الله دون ما سواه ومن
ذكر نعمائه عليهم ومن ذكر ما وعدهم في الآخرة من صنوف النعيم
واللذات وليس عند المخلوق شيء من هذه الوجوه تحقق التوكل
كل على الله والشكر له ومحبته على احسانه **الوجه الرابع**
ان تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه اذا اخذ منه العدد
الزايد على حاجته في عبادة الله فان اخذ من الطعام و
الشراب فوق حاجته ضره او اهلكه وكذلك من النكاح واللباس
وان احب شيئا صيانا ما بحيث نحا الله فلا بد ان يسلمه او يتغير
قلبه وفي الاثر المأثور احبب من شئت فانك مفارقه
واعلم انك كل من احب شيئا لغير الله فلا بد ان يضره محبوبه
ويكون ذلك سببا لعذابه ولهذا كان الذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يحمى لاحدهم كنزه يوم
القيمة شجاعا اقرع يأخذ بلهزمته يقول انا كنزك انا مالك
وكذلك تفسير هذا في الحديث يقول الله يوم القيمة يا ابن آدم
لبيت عطشا فلم تسقني انا ولي كل رجل منكم اليوم ما كان يتولاه في الدنيا
واصل التولي الحب فكل من تولى شيئا غير الله ولاه
الله يوم القيمة ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا فمن
احب شيئا لغير الله فالضرر حاصل له ان وجد فقد وان فقد

تعذب بالعذاب وتألم وتأذى وصرفانه يحصل له من الالم اكثر مما يحصل
له من اللذة وهذا امر معلوم بالاعتبار والاستقراء كل من احب
شيئا من دون الله فان مضرته اكثر من منفعته وضارت المخلوق
ت وبالا عليه الا الله وهذا الحق معنى ما روى عن ابى صلى الله
عليه وسلم انه قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه
رواه الترمذى وغيره **الوجه الخامس** ان اعتماده على المخلوق
وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهة فانه يحول من تلك +
الجهة وهذا ايضا معلوم بالاعتبار والاستقراء مما علق العبد
رجاءه وتوكله بغير الله الا خاب من تلك الجهة واذا استنصر
بغير الله الا خذل وقد قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا
لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وهذا ان لم
تنالهم عقوبة الله فلا بد ان تنكر العبادة [illegible] والاستعانة بالخالق
جهان فى المخلوق فان تنكر العبادة فى قلبه كان صلاح العبد فى عبادة الله
فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين كان صلاح العبد فى عبادة الله
واستعانته وكان فى عبادة ما سواه واستعانته مما سواه مضرته
وهلكته وفساده **الوجه السادس** ان الله سبحانه غنى حميد كريم
واحد صمد فهو محسن الى عبده مع غناه عنه يريد به الخير ويكشف
عنه الضر لاجل منفعة اليه من العبد والدفع مضرة به رحمة
واحسانا والعباد لا يتصور ان يبلغوا الا حظهم فاكثر ما عندهم
للعبد ان يحبه ويعظمه ويحلى له منفعة ويدفع عنه مضرة
وان كان ذلك ايضا ما تيسر الله سبحانه فانهم لا يفعلون ذلك الا
لحظوظهم من العبد اذا لم يكن العمل لله فانهم اذا احبوه طلبوا

ان ينالوا غرضهم من محبته سوء احبوه لحاله الباطن او الظاهر
فاذا احبوا الانبياء والاولياء وطلبوا لقاءهم يحبون الموت ويرغبون
ويطلبون كلامهم ونحو ذلك وكذلك من احب انسانا لنيل غرض
منه او جماله او كرمه فهو يحب ان ينال فضله من قتل المحبة ولولا
التذاذه بها لما احب وان جلب له منفعة كخدمة ومال او
دفع عنه مضرة كمرض وعدو ولو بالدعاء او الثناء فهم يطلبون
العوض اذا لم يكن الفعل لله فان جاز ان الملوك وعبيد الملك و
ارباب الصناع واعوان الرئيس كلهم انما يسعون لنيل اغراضهم
لا يعرج اكثرهم على قصد منفعة المخدوم الا ان يكون قد علم وادت
من جهة اخرى فهل حصل ذلك في جهة الدنيا او يكون قد طبع على
واصلا من باب المكافاة والاخالمعتبر بالقصد الاول هو
منفعة نفسه وهذا ما حكمه الله التي اقام بها مصالح خلقه اذ
قسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفع بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اذا تبين هذا ظهر ان المخلوق قد لا يقصد
منفعتك بالقصد الاول بل انما يقصد منفعته بل وان يكون ذلك
قد يكون عليك فيه ضرر اذا لم يراع العدل فاذا دعوته فقد دعوت
من ضره اقرب من نفعه والله سبحانه لم يرد ذلك ولم يفعل لا
لينفعك بذلك بلا مضرة فتدبر هذا فلعل احضه هذا الوجه
يمنعك ان ترجو المخلوق او تطلب منه منفعة لك فانه لا يريد
ذلك بالقصد الاول كما انه لا يعود عليه ولا يحملك هذا على جفوة
الناس

(والله اعلم)

الناس ويزيل الاحسان اليهم واحمالا اذاهم بل احسن اليهم لله
لا لرجاهم ولكما لا تخفهم ملاتر جهم وخف الله في الناس ولا تخش
الناس وارجو الله في الناس ولا ترجو الناس في الله وكن ممن قال
الله فيه ويسيجنيها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال فيه انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا **الوجه السابع**
ان غالب الخلق يطيق ادراك حاجاتهم بك وان كان ذلك ضررا
عليك فان صاحب الحاجة اعمى لا يعرف الا مضاءها **الوجه**
الثامن انه اذا اصابك مضرة من الخوف والجوع وللمرض فان الخلق
لا يقدرون على دفعها الا باذن الله ولا يقصدون دفعها الا لغرض
في ذلك **الوجه التاسع** ان الخلق لو اجتهدوا ان ينفعوك
لم ينفعوك الا بما كتبه الله لك ولو اجتهدوا ان يضروك لم
يضروك الا بما كتبه الله فلا تعلق بهم رجاءك ولا خوفك قال
تعالى امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون
الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو
ونفور والنصر يتضمن لدفع الضرر والرزق يتضمن حصول المنفعة
قال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم
من خوف وقال ولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من
لدنا وقال الخليل عليه السلام رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق
اهله من الثمرات الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم هل من خالق

وتنصرون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم **فصل**
جماع هذا انك اذا كنت غير عالم بالمصلحة ولا قادر عليها ولا مريدا
كما ينبغي فغيرك من الناس اولى ان لا يكون عالما بالمصلحة ولا هو قادر
عليها ولا مريد كما في الحديث الصحيح حديث الاستخارة اللهم اني استخيرك
بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر
ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب والله سبحانه هو يعلم ولا
تعلم ويقدر ولا تقدر ويعطيك من فضله العظيم **فصل**
وهو مثل المعدة لهذا الذي اتاه وهو ان كل انسان فهو هام حارث
حساس متحرك بالارادة بل كل حي فهو كذلك له علم وعمل باذنه والارادة
هي المشيئة والاختيار ولا بد في العمل الارادي الاختياري من مراد
هو المطلوب ولا يحصل المراد الا باسباب وهو سائل تحصله فان حصل
بفعل العبد فلا بد من قدرة وقوة وان كان من خارج فلا بد من
فاعل غيره وان كان منه ومن الخارج فلا بد من الاسباب كالآلات
وكحو ذلك فلا بد لكل حي من ارادة ولا بد لكل مريد من معونة يحصل به
مراده فصار العبد محبولا على ان يقصد شيئا ويريده ويسعى في
شيء ويتعمد عليه في تحصيل مراده هذا امر حتم لازم ضروري
في حق كل انسان بحده من نفسه لكن المراد والمستعان قسمان
منه ما يراد لغيره ومنه ما يراد لنفسه والمستعان منه ما هو المستعان نفسه
ومنه ما هو تبع للمستعان والاله له من المراد انما يكون هو الغاية
المطلق فهو الذي يذل له الطالب ويحبه وهو الاله المعبود ومنه
ما يراد لغيره بحيث يكون المراد هو ذلك الغير فهذا مراد بالعرض ومن

المستعان

المستعان ما يكون هو الغاية التي يعتمد العبد عليه ويتوكل عليه ويعتضد به
ليسد عنده فوقه غاية في الاستعانة ومنه ما يكون مستعانا غير بمنزلة
الاعضاء مع القلب والمال مع المالك والآلات مع الصانع فاذا تدبر الانسان
حال نفسه وحال جميع الناس وجدهم لا يستغنون
عن هذين الامرين لا بد للنفس من شيء تطمئن اليه وتنتهي اليه محبتها هو
الهها ولا بد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها
سواء كان هو الله او غيره واذا كان فقد يكون عاما وهو الكفر كمن
عبد غير الله مطلقا وسأل غير الله مطلقا مثل عباد الشمس والقمر
والكواكب وغير ذلك الذين يطلبون منهم الحاجات ويفزعون اليهم
في النوائب وقد يكون خاصا في المسلمين مثل من غلب عليه حب المال
او حب شخص او حب الرياسة حتى صار عبد ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة
ان اعطي رضي وان منع سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش
رواه البخاري وكذلك من غلب عليه جاهه وماله بحيث يكون عنده
كذوبه من الرؤساء ونحوهم او خادمه من الاعوان والاجناد
ونحوهم او اصدقاؤه او موالاته هي التي تجلب المنفعة الدنيوية
وتدفع المضرة الدنيوية فهو معتمد عليها ومستعينا بها و
المستعان هو مدعو ومسئول وما اكثر ما يتلازم العبادة والاستعانة فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ونفعه وضره
خضع له وذل وانقاد واصبح مشاهدة الجهة وان لم يحب لذاته
لكن قد يغلب عليه الحال حتى يحب لذاته ويسمى معبودة منه

كما يصيب كثيرا ممن يحب المال او يحب من يحصل له العز والسلطان واما
من احبه لعلمه وارادته وقصده فقد لا يستعينه ويعتمد عليه الا اذا
استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه كما يستشعر المحب قدرة المحبوب
على وصله فاذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه استعانه والا
فقد قال قائم ثالثه قد يكون محبوبا غير مستعان وقد يكون مستعانا
غير محبوب وقد يجتمع فيه الامران فاذا علم ان العبد لا بد له في كل وقت
وحال من منتهى يطلبه هواه ومنتهى يطلب منه وهو مستغاثه
وذلك هو صمده الذي يصمد اليه في استغاثته وعبادته بياننا ان
قوله اياك نعبد واياك نستعين كلام جامع محيط اول آخر لا يخرج
عنه شيء فمدار الاقسام ان يعبد ما ان يعبد غيره ويستعينه
وان كان مسلما فالشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل واما
ان يعبده ويستعين غيره مثل كثير من اهل العبادة الذين يقصدون
بطاعة الله ورسوله وعبادته وحده لا شريك له وتجتمع قلوبهم
لما يستغيثون بنصرهم ورزقهم وهدايتهم من جهة من الملوك والامراء
والمشايخ واما ان يستعينه وان عبد غيره مثل كثير من ذوي
الاحوال وذوي القدرة والسلطان الباطن او الظاهر واهل الكشف
والتاثير الذي يستعينونه ويعتمدون عليه ويسألونه ويلجأون اليه
لكن معبودهم غير ما امر الله به ورسوله وغير اتباع دينه وشريعته الذي
بعث بها رسوله والقسم الرابع الذي لا يعبدون الا اياه ولا يستعينون

الا اياه

الاياه وهذا القسم الرباعي قد ذكر فيما بعد ايضا لكنه تارة يكون بحسب
العبادة والاستعانة وتارة يكون بحسب المعبود المستعان
فهذا هو بحسب المعبود والمستعان لبيان انه لابد لكل عبد من معبود
ومستعان وفيما بعد بحسب عبادته واستعانته فان الناس على
اربعة اقسام **فصل** قال الله تعالى في ام القرآن والسبع المثاني
والقرآن العظيم وهي الشافية وهي الواجبة في الصلاة لا صلاة الا بها
وهي الكافية تكفي من غيرها ولا يكفي غيرها منها والصلاة افضل
الاعمال وهي مشتقة من كلام طيب وعمل صالح فافضل كلها الطيب
واصبه ام القرآن وافضل عملها الصالح وواجبه السجود كما جمع
بين الامرين في اول سورة انزلها على رسوله حين افتتحها بقوله اقرأ
باسم ربك الذي خلق وختمها بقوله واسجد واقترب
فوضعت الصلاة على ذلك اولها القراءة واخرها السجود ولهذا
قال سبحانه في صلاة الخوف فاذا سجدوا فليكونوا من وراءكم والمراد بالسجود الركعة التي يفعلونها وحدهم بعد مفارقتهم للامام وقيل القراءة
مع التكبير والاستفتاح والاستعاذة هي التحريم للصلاة ومقدمة لما بعدها وله
ما يتبدأ به كالمقدمة وما يفعل بعد السجود من قعود وتشهد فيه
التحية لله والسلام على عباده الصالحين والدعاء والسلام على النبي
طيبا فهو تحليل للصلاة ومعتقب لما قبله قال النبي صلى الله عليه وسلم
مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم ولهذا
لما تنازع الناس ايما اكثر الركوع والسجود او طول القيام او هما
على ثلاثة اقوال عن احمد وغيره وكان الصحيح انهما سواء القيام فيه

افضل ح

افضل الاذكار والسجود افضل الاعمال فاعتدلا وهذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدلة يجعل الامر كانوا قريبا من السواء واذا اطال القيام طول كثيرا كما كان يفعل في قيام الليل وصلاة الكسوف اطال جميع الركوع والسجود واذا قصر منه اقتصر في الركوع والسجود وام الكتاب كما ارثها القراءة الواجبة فهي افضل سورة في القرآن قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وفضائلها كثيرة جدا وقد جاء ما روي عن الحسن البصري وابن ابي حاتم وغيره والله انزل ما في كتاب وان يعرف كتب جمع علمها في اربعة وجمع علم اربعة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في ام القرآن وجمع علم ام القرآن في هاتين الكلمتين الجامعتين اياك نعبد واياك نستعين وان علم الكتب المنزلة من السماء اجمع في هاتين الكلمتين وهذا ثبت في الحديث الصحيح حديث قسمت الصلاة ان الله تعالى يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال فهذه الاية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فقد ثبت بهذا ان السورة

قسمة

متضمن بين الله وبين عبده وان ها تين الكلمتين مقتسم السورة
فاياك نعبد ما قبله لله واياك نستعين هو ما بعده للعبد وله
ما سال ولهذا قال من قال من السلف نصفها ثنا ونصفها مسئلة
فكل واحدة من العبادة والاستعانة دعاء واذا كان الله قد فرض
علينا ان نناجيه وندعوه بهاتين الكلمتين في كل صلاة فمعلوم ان
ذلك يقتضي انه فرض علينا ان نعبده ونستعينه اذ ايجاب القبول
الذي وقرار واعتراف ودعاء وسؤال هو ايجاب لمعناه ليس
ايجابا لمجرد اللفظ لا معنى له فان هذا لا يجوز ان يقع بل ايجاب ذلك
ابلغ من ايجاب مجرد العبادة والاستعانة فان ذلك قد يحصل
اصله بمجرد القلب والقلب واللسان بل اوجب دعاء الله وصنا
جاته وتكليمه ومخاطبته بذلك لتكمل الواجب من ذلك كما في الصورة
ومعنى بالقلب وسائر الجسد وقد جمع بين هذين الاصلين الجامعين
معنى ايجابا وغير ايجاب في مواضع كقوله في آخر سورة هود
فاعبده وتوكل عليه وقول العبد الصالح شعيب عليه السلام
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقول ابراهيم والذين
معه عليك توكلنا واليك انبنا وقوله سبحانه اذا امر رسوله ان
يقول كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم
الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو
عليه توكلت واليه متاب فامر نبيه بان يقول على الرحمن توكلت و
اليه متاب بكما امر بهما في قوله فاعبده وتوكل عليه والامر له امر لامته
وامره بذلك في ام القرآن وفي غيرها لامته ليكون فعلهم ذلك طاعة لله

وامتثال الامر لا تقدم ما بين يدي الله ورسوله وهذا كان عامة ما
يفعله نبينا صلى الله عليه وسلم والخالصون من امته من الادعية
والعبادات وغيرها انما هو بامر من الله بخلاف من يفعل ما لم
يؤمر به وان كان حسنا او عفوا وهذا احد الاسباب الموجبة
لفضله وفضل امته على من سواهم وفضل الخالصين من امته
على المشوبين الذين شابوا ما جاء به بغيره كالمحرفين عن الصراط
المستقيم والى هذين الاصلين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد
في عباداته واذكاره ومناجاته مثل قوله في الاضحية اللهم منك
ولك فان قوله منك هو معنى التوكل والاستعانة وقوله لك
هو معنى العبادة ومثل قوله في قيامه من الليل اللهم لك اسلمت
وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت
واليك حاكمت اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي
الذي لا يموت والجن والانس يموتون الى امثال ذلك اذا تقرر
هذا الاصل فالانسان في هذه المراتب الواجبة لا يخلو من احد الاربعة
هي القسمة الممكنة اما ان يأتي بها والعبادة فقط
واما ان يأتي بالاستعانة فقط واما ان يتركهما جميعا وهذا كا
ن الناس في هذه الاقسام الاربعة بل اهل الديانات هم اهل هذه
الاقسام وهم المعتصمون وهنا بالكلام فتح يغلب على قصد
البيان لله ومتابعة الامر والنهي والاخلاص لله تعالى واتباع
الشريعة في الخضوع لاوامره ونواهيه وكلماته الدينيات

لكن يكون

لكن يكون منقوصا من جانب الاستعانة والتوكل فيكون لما عاجزا
ولما مفرطا وهو مغلوب اما مع عدوه الباطن واما مع عدوه الظا
هر وربما يكثر منه الجزع مما يصيبه والحزن لما يفوته وهذا
حال كثير ممن يعرف شريعة الله وامره ويريد ان متبع للشريعة
وللعبادة الشرعية والاعراض فقناعة وزهده وهو حسن القصد
طالب للحق لكنه غير عارف بالسبل الموصلة والطرق المفضية و
متسم بغلبة علم قصد الاستعانة بالله والتوكل عليه واظهار الفقر
والفاقة بين يديه والخضوع لعظمته وكلمة الكونيات لكن يكون
منقوصا من جانب العبادة والاخلاص لله ومنهاجه
بل قصده نوع سلطان في العالم اما سلطان فاقدر وتاثير واما
سلطان كشف واخبار وقصده طلب ما يريده ودفع
ما يكرهه باي طريق كان ومقصوده نوع عبادة وتاله باي
وجه كان فهمة في الاستعانة والتوكل المعينة على مقصوده
فيكون اما جاهلا واما ظالما تارك لبعض ما امر الله وركب بعض
ما نهى الله عنه وهذا حال كثير ممن يتاله ويتصوف وينتصر
ويتفقر قد رأى الله وقضاءه ولا يشهد امر الله ونهيه ويشهد
قيام الاكوان بالله وفقرها اليه وقيامه منه لها ولا يشهد ما
امر به وما الذي يحبه الله له وما الذي نهاه الله عنه ولهذا
يكثر فيهم الاذن له كشف وتاثير وخرق عادة مع اخلال بعض
بعض الشريعة ومخالفة لبعض الامر واذا اوغل الرجل منهم

دخل في الاباحة والانحلال وربما صعد الى فساد التوحيد فيجمع بين
الاباحة والحلول المعتقدا ومع لكثير من الشيوخ ويوجد بكلام
صاحب منازل السائرين وغيره ما يعزى الى ذلك وقد يدخل قوله
في الحلول والاتحاد المطلق والقول بوحدة الوجود فيعتقد
ان الله هو الوجود المطلق فيقول كما قال صاحب الفتوحات
المكية في اولها الرب حقا والعبد شعري من المكلف ان قلت عبد
فذلك ميت او قلت رب اني يكلف **وقسم ثالث** معرضون عن عبا
دة الله عز وجل عن الاستعانة به جميعا وهم فريقان اهل دنيا واهل
دين فاهل الدين منهم اهل الدنيا الفاسد الذين يعبدون غير
الله ويستعينون غير الله بظنهم هو انهم ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى واهل الدنيا
منهم الذين يطلبون ما يشتهونه من العاجلة بما يعتقدونه من
الاسباب وعلم انه يجب التعريف بما من قد تعرض عن عبادة
الله والاستعانة به وبين ما يعبد غيره ويستعين سواه **فصل**
قال الله سبحانه في اول سورة الحمد لله رب العالمين فبدأ بهذين
الاسمين الله والرب والله هو الاله المعبود فهذا الاسم احق بالعبا
دة ولهذا يقال الله اكبر الحمد لله سبحان الله لا اله الا الله والرب
هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي ولهذا الاسم احق با
لاستعانة والمسالة ولهذا يقال رب اغفر لي ولوالدي ربنا ظلمنا

انفسنا

انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا اني ظلمت نفسي
فاغفر لي ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا ربنا لا تؤاخذنا ان
نسينا او اخطانا مقامه المسئلة والاستعانة المشروعة باسم الرب
فالاسم الاول يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه وهو الذي خلق له
وبه فيه صلاحه وكماله وهو عبادة الله والاسم الثاني يتضمن خلق
العبد ومبتداه وانه ربه وبه وليه مع انا الثاني يدل والاول
دخول الربوبية في الالوهية والربوبية تستلزم الالوهية ايضا
والاسم الرحمن كمال التعلق ووصف الحال فيه بتمام سعادته في
حياته واخراه ولهذا قال وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو
عليه توكلت واليه متاب فذكر ههنا الاسماء الثلاثة الرحمن والرب
والاله وقال عليه توكلت واليه متاب كما ذكر الاسماء الثلاثة في ام القرآن
لكن بدا هناك باسم الله ولهذا بدا في السورة باياك نعبد فقدم الاسم وما
يتعلق به من العبادة لان تلك السورة فاتحة الكتاب وام القرآن
فقدم فيها المقصود الذي هو العلة الغائية فانها علة فاعلية
للعلة وقد بسطت هذا المعنى في مواضع في اول التفسير وفي قاعدة
المحبة والارادة وفي غير ذلك **فصل** ولما كان علم المخلوق
بحاجتهم وفقرهم الى الرب قبل الاصلة كان امرهم بالله متوجها
الى بيته اسبق من اقرارهم به من جهة الوهيته وكان الدعاء
والاستعانة والتوكل عليه متضمنا لكثير من العبادة له والانابة اليه

ولهذا لما بعث الرسل يدعون الى عبادة الله وحده لا شريك له الذي هو
المعبود والمستلزم للاقرار بالربوبية ومداره عليهم انكم ليس شيء
من خلقهم ليقولن الله وانهم اذا مسهم الضر ظل من تدعون الا اياه
وقال واذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين فاخبر انهم مقرون
بربوبيته وانهم مخلصون له الدين اذا مسهم الضر فدعاهم واستغاثتهم
لم يوصف عن عبادته في حال حصول اغراضهم وكثير من المتكلمين انما
يقرون بالواحدانية من جهة الربوبية فاما الرسل فهم دعوا اليها من جهة
الالوهية وكذلك كثير من المتصوفة المتعبدة ارباب الاحوال انما توجههم
الى الله من جهة ربوبيته لما يهجم في باطنهم من الاحوال التي يظن
فيها وهؤلاء من جنس الملوك وقد ذم الله في القرآن هذا الصنف كثيرا
فتدبر هذا فانه يكشف به احوال قوم يتكلمون في الحقائق ويسلكون عليها
وهم في الحقيقة لم يعرجوا في نوع الحقائق الكونية القدرية الربوبية لا في
الحقائق الدينية الشرعية الالهية وقد تكلمنا على هذا المعنى في مواضع
متعددة وهو اصل عظيم يجب الاعتناء به والله سبحانه اعلم

فصل

متصل بالذي قبله وذلك ان الانسان بل وجميع المخلوقات عباد الله
تعالى فقراء اليه هو ربهم ومليكهم والههم كما قاله الاهوفي
المخلوق ليس له من نفسه شيء اصلا بل نفسه وصفاته وافعاله وما
ينتفع به او يستحقه وغير ذلك انما هو من خلق الله والله رب ذلك
كله ومليكه وباريه وخالقه ومصوره واذا قلنا ليس له من نفسه
الا العدم فالعدم ليس هو شيء يفتقر الى فاعل موجود بل العدم ليس
بشيء وبقاؤه مشروط بعدم فعل الفاعل لان عدم الفاعل يوجبه

ويقتضيه

فائده

ويقتضيه كما يوجب الفاعل المفعول الموجود بل وقد يضاف عدم المفعول
لا عدم العلة وبينهما فرق وذلك المفعول الموجود انما خلقه وابدعه الفا
عل وليس المعدوم ابدعه عدم الفاعل فانه يفضي الى التسلسل والدور
لانه ليس مقتضاه احد العدمين للاخر بل ولا من العكس فانه ليس احد
العدمين مميزا بحقيقته (ستوجب بها ان تكون فاعل وان كان يعقل
ان عدم المقتضي اولى بعدم الاثر من العكس فهذا انما كان وجود المقتضي
هو المفيد لوجود المقتضى صار العقل يضيف عدم الى عدمه اضافة
لزومية لان عدم الشيء اما يكون لعدم المقتضى او لوجود المانع بعد
قيام المقتضى لا يتصور ان يكون العدم الا لاحدها بل متى كان الشيء
الذي انعقد سبب وجوده يعدمه المانع المنافي وهو امر موجود وتارة
لا يكون سببه قد انعقد صار عدمه تارة ينسب الى عدم مقتضيه وتارة
تارة الى وجود مانعه وهذا معنى قولنا الملك ما شاء الله كان ومالم يشأ
لم يكن بمشيئة موجبة للاشياء كلها وما شاءه لم يكن اذ مشيئته هي
الموجبة فيلزم من انتفائها انتفائها لا يكون شيء حتى تكون مشيئته
لا يكون شيء بدونها بحال فليس لنا سبب يقتضي وجوده شيء حتى تكون مشيئته
مانعة من وجوده بل مشيئته هي السبب الكامل فهو وجودها لا مانع
ومع عدمها لا مقتضى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يردك بخير فلا راد لفضله قل ارايتم ما تدعون من دون الله
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون واذا عرف ان العبد

ليس له من نفسه خير اصلا بل ما من حسنة فمن الله واذا مسنا الضر فاليه
نجأر والخير كله بيديه كما قال ما اصابك من حسنة فمن الله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك وقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم
فى سيد الاستغفار الذى فى صحيح البخارى اللهم انت ربى لا اله الا انت
خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ
بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء بذنبى فاغفر لى انه
لا يغفر الذنوب الا انت وقال فى دعاء الاستفتاح الذى فى صحيح مسلم لبيك
وسعديك والخير بيديك والشر ليس اليك تباركت وتعاليت وذلك
ان الشر اما ان يكون موجودا او معدوما فالعدم شئ اكان عدم ذات
او عدم صفة من صفاتها او فعل من افعالها كمثل عدم الحياة
والعلم والسمع والبصر او الكلام او العقل او العمل الصالح على
تنوع اضافته مثل معرفة الله ومحبته وعبادته والتوكل عليه
والانابة اليه ورجاءه وخشيته والامتثال لاوامره واجتناب نواهيه
وغير ذلك من الامور المحمودة الظاهرة والباطنة من الاقوال والافعال
فان هذه الامور كلها حسنات وخير وعدمها شر وسيئات
لكن هذا العدم ليس بشئ اصلا حتى يكون له بارئ فاعل فيضاف الى الله
وانما هو من لوازم النفس التى هى حقيقة الانسان قبل ان تخلق و
بعد ان خلقت فلها قبل ان تخلق عدم مستلزم لهذا العدم و
بعد ان خلقت وقد خلقت ضعيفة ناقصة ففيها النقص والضعف
والعجز فان هذه امور عدمية فاضيق الى النفس من باب اضافة عدم
المعلول الى عدم علته وعدم مقتضيه وقد يكون من باب اضافة

الى وجود

الى وجود منافيه من وجه آخر سنبينه ان شاء الله وبالجملة الامر ان هذا الشر
والشيات العدمية ليس موجودة حتى يكون الله خالقها فانه خالق كل شيء
والمعدومات تنسب تارة الى عدم فاعلها وتارة الى وجود مانعها فلا
تنسب اليه هذه الشرور والعدميات على الوجهين اما الاول فلان الحق
المبين فلا يقال عدمت لعدم فاعلها او مقتضيها واما الثاني
وهو وجود المانع فلان المانع انما يحتاج اليه اذا وجد المقتضي ولو شاء
فعلها لم يمنعه مانع وهو سبحانه لا يمنع نفسه ما شاء فعله بل هو فعال
لما يشاء ولكن قد يخلق هو سببا مقتضيا وما نعا فان جعل السبب يمنع
بشيء ولم يجعله تاما منع المانع لضعف السبب وعدم اعانة الله له فلا
يعدم امرا الا لانه لم يشأه كما لا يوجد امرا الا لانه يشاؤه وانما تضاف
هذه الشيات العدمية الى العبد لعدم السبب منه تارة ولوجود المانع
منه اخرى اما عدم السبب فظاهر فانه ليس منه قوة ولا حول ولا اخر
ولا سبب خير اصلا ولو كان منه شيء لكان سببا فاصيق فيه لعدم السبب
ولانه قد يعدم من افعال كان سببا لها باعانة الله له فاذا لم يصدر منه
كان لعدم السبب واما وجود المانع المضاد المناقض فلان نفسه قد
تضيق وتضعف وتعجز ان يجمع بين افعال ممكنة في نفسها متنافية في قوة
فاذا اشتغل بسمع شيء او ببصره او الكلام في شيء او النظر فيه او ارادته او
اشتغله جوارحه بعمل كثير اشتغله عن عمل آخر فصار قيام احدى
الصفات والافعال بي مانعا وصادا عن آخر وان كان ذلك خيرا لضيقه
وعجزه والضيق والعجز يعود الى عدم قدرة فعاد الى العدم الذي هو
منه والعدم المحض ليس بشيء حتى يضاف الى الله تعالى واما ان كان الشر
موجودا كالالم وسببه الالم فينبغي ان يعرف ان الشر الموجود ليس شرا على

الاطلاق ولا شر محضا وانما هو شر في حق من يتأذى به وقد يكون مصابين فيما
فوائد وهذا جاء في الحديث الذي رواه ابو داود لو ان قدر خير وشره و
حلوه ومره وفي الحديث الذي رواه ابو داود لو ان قدر خير وشره و
ذهبا الى قبله مثل حقائق بالقدر خيره وشره ويعلم ان ما اصابك
لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فالخير والشر هما بحسب
العبد المضاف اليه كالحلو والمر سواء وذلك ان من لم يتأذ بالشيء
ليس في حقه شر ومن يتمتع به فهو في حقه خير كما كان النبي صلى الله عليه
وسلم يعلم من قصد عليه اخوف ولكن ان يقول خيرا يلقاه وشر الله
يوقاه خير الناس وشر الاعداء اذا اصاب العدو شر اسر قلب عدوه
فهو خير لهذا وشر لهذا ومن لم يكن لها ولا لهذا فليس في حقه
لا خير ولا شر وليس في مخلوقات الله سبحانه ما يؤلم الخلق كلهم دائما
ولا يسرهم دائما بل مخلوقاته اما منعمة لهم او لجمهورهم في
اغلب الاوقات كالشمس والعافية فلم يكن في الموجود ان الى خلقها
الله ما هو شر مطلقا عاما فعلم ان شر المخلوق الموجود شر معين خاص
وفيه وجه آخر هو به خير وحسن وهو اغلب وجهيه كما قال تعالى احسن
كل شيء خلقه وقال تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء وقال تعالى
ما خلقت هذا باطلا وقد علم
بتفكر في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد علم
الملحدون ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا لحكمة فتلك الحكمة وجه حسنه وخيره
والا لكون في المخلوقات شر محض لا خير فيه ولا فائدة فيه بوجه وبهذا
يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك وكون الشر وصفا لم يضف
الى الله بل اما بطريق العموم او اضافة الى السبب المحل فاعل فهذا

الشر الموجود

الشر الموجود الخ صار المقيد سببه اما عدم واما وجود والعدم مثل
عدم شرط او جزء سبب اذ لا يكون سببه عدما محضا فان المحض لا يكون ٤٢
سببا بل الوجود وكذلك يكون سبب الخير واللذة مد انتفى ولا يحصل الشرط
فينقطع الالم وكذلك مثل عدم فعل الواجبات الذي هو سبب الذم والعقاب
ومثل عدم العلم الذي هو سبب الم الجهل وعدم السمع والبصر والنطق
الذي هو سبب الالم بالعمى والصمم والبكم وعدم الصحة والقوة الذي هو سبب
الالم بالمرض والضعف فهذا الموضع ونحوها يكون الشر ايضا مضافا الى العدم
المضاف الى العبد حتى يتحقق قول الخليل عليه الصلاة والسلام واذا مرضت
فهو يشفين فان المرض وان كان امرا وجوديا فسببه ضعف القوة وانتقال
الصحة الموجودة وذلك عدم هو من الانسان المعدوم بنفسه ويتحقق
قول الحكماء ما اصابك من سيئة فمن نفسك وقوله قل هو من عند انفسكم
ونحو ذلك مما كان سببه عدم فعل الواجب وكذلك اقوال الصحابة وان يكن
خطأ فمن الشيطان تبيان ذلك ان المحظورات جميعها من الكفر والفسوق
والعصيان انما يفعلها العبد بجهله او لحاجته فانه اذا كان عالما بضررها
وهو غني عنها امتنع ان يفعلها والجهل اصله عدم والحاجة اصلها
العدم فاصل وقوع السيئات منه هو عدم العلم والغنى وهذا معنى قول القائل
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يعقلون ونحو قوله اكثم الفواتح ما لنبي فهم على
اثارهم يهرعون الى نحو هذه المعاني وما الوجود الذي هو سبب الشر الموجود
الذي هو خاصا كالالم مثل الافعال المحرمة من الكفر الذي هو التكذيب او
الاستكبار والفسوق الذي هو فعل المحرمات ونحو ذلك فان ذلك سبب
الذم والعقاب بدليل انك تاول الاعذبت الضارة وكذلك الحركات الشديدة
المولمة للالم فهذا الوجود لا يكون وجودا تاما محضا اذ الوجود التام المحض
لا يورث شرا كما يكون سبب التكذيب عدم معرفة الحق والاقرار به وسبب عدم هذا العلم

والقول عدم اسبابه من النظر التام والاستماع التام لآيات الحق واعلامه وسبب
عدم النظر والاستماع واما عدم المقتضى فليكون عدما محضا واما وجود مانع
من الكبر والحسد في النفس والله لا يجاب كل مختال فخور وهو يقتضي باطل و
سببه عدم النفس الحق فيعتاض عنه بالخيال الباطل والحسد ايضا سببه
عدم التهمة التي يصير بها مثل المحسود وافضل منه فان ذلك يوجب كراهيته
الى ان لا يكاد فيه المحسود ويتفضل عليه وكذلك العشق كالقتل
والزنا وسائر العتباع انها سببها حاجة النفس الى الاشتفا بالقتل والا
لذة اذ بالزنا والاثم حصل عن ضرب لا قتل او نال اللذة بلا زنا لم
يفعل ذلك والحاجة مصدرها العدم وهذا بين اذ يتبين الانسان
ان الشر الموجود انما اضيف الى عدم العلم او وجود فلا بد ان يكون وجودا ناقصا
فتارة يضاف الى عدم كمال السبب او شرط وتارة يضاف الى وجود
ويعبر عنه تارة بالسبب الناقص والمحل الناقص وسبب ذلك اما عدم شرط
او وجود مانع والمانع لا يكون مانعا الا لضعف المقتضي وكل ما ذكرته
واضح بائن الا هذا الموضع ففيه غموض تبين عند التامل وله طرفان
احدهما ان الموجود لا يكون سببه عدما محضا والثاني ان الموجود
لا يكون سببا للعدم المحض وهذا معلوم للجميع ان الكائنات الموجودة
لا تصدر الا عما هو موجود وهذا كان معلوما بالفطرة انه لا بد
لكل مصنوع من صانع كما قال تعالى ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون
يقول اخلقوا من غير خالق خلقهم ام هم خلقوا انفسهم ومن المتكلمين
من استدل على هذا المطلوب بالقياس وضرب الامثال والاستدلال
عليه ممكن ودلائله كثيرة والفطرة عند صحتها اشد اقرارا به وهو لها

البدء وهي اليه اشد اضطرارا من المثال الذي يقاس به وقد اختلفوا هل
الاصل في اللغة الشريعة هل يجوز تعليل الحكم الوجودي بالوصف العدمي
فمنهم من قال يعلل به ومنهم من قال لا يعلل به ومنهم من فصل فقال
لا يجوز ان يكون علة للوجود في قياس الدلالة العلة ويجوز ان يكون
علة فلانه يضاف اليه في قياس الدلالة وهذا فصل الخطاب وهو ان
في قياس الدلالة يجوز ان يكون العدم فيه علة وجزء من علة لان عدم
الوصف قد يكون دليلا على وصف وجودي يقتضي الحكم والمقتضي العلة
فلا يكون العدم فيه علة تامة لكنه يكون جزءا من العلة التامة
وشرط العلة المقتضية التي ليست تامة وقولنا جزء من العلة التامة
هو معنى كونه شرطا في اقتضاء العلة الوجودية وهذا نزاع لفظي فاذا
حققت للعاقل ان يقف فهذا اذا بان احد الطرفين وهو ان الموجود لا يكون
سببه عدما محضا واما الطرف الثاني فهو ان الموجود لا يكون مسببا للموجود
يستلزم عدما فلان العدم المحض لا يفتقر الى سبب هو وجود بل
يكفي فيه عدم السبب الموجود لان السبب الموجود اذا اثر فلا يخلو ان
يؤثر شيئا والعدم المحض ليس بشيء فالاثر الذي هو عدم المحض بمنزلة
عدم الاثر بل اذا اثر العدم فالعدم امر وجودي فيه عدمه فان
جعل الموجود معدوما والمعدوم موجودا امر معقول اما جعل المعدوم
معدوما فلا يعقل الا بمعنى الابقاء على العدم والابقاء على العدم يكفي فيه
عدم الفاعل والفرق معلوم بين عدم الفاعل وعدم الموجب وعدم
العلة وبين فاعل العدم وموجب العدم وعلة العدم والعدم
لا يفتقر الى الثاني بل يكفي فيه الاول فتبين ذلك الطرفان وهو ان
العدم المحض الذي ليس فيه شوب وجود لا يكون لوجوده لا سبب ولا مسببا

ولا فاعلا ولا مفعولا اصلا فالوجود المحض التام الذي ليس فيه شيء بالعدم
لا يكون سببا للعدم اصلا ولا مسببا عنه ولا فاعلا له ولا مفعولا اما كونه
ليس مسببا عنه ولا مفعولا له فظاهر واما كونه ليس سببا له فان كان
سبب العدم محضا فالعدم المحض لا يفتقر الى سبب موجود وان كان
لعدم شيء وجود فذلك الوجود لا بد له من سبب ولو كان سببه تاما
وهو قابل لما دخل فيه دخل فيه عدم فانه اذا كان السبب تاما والمحل
قابلا وجب وجود المسبب بحيث لا يمتنع فالعدم ما في السبب او فقد
المحل فلا يكون وجود المحض فظهر ان السبب حيث يخلق حكمه ان كان لفوات
شرط فهو عدم وان كان لوجود مانع فانما صار مانعا لضعف السبب وهو
ايضا عدم قوته وكماله فظهر ان الوجود ليس سببا للعدم المحض وظهر
بذلك القسمة الرباعية وهو ان الوجود المحض لا يكون الا خيرا يبين ذلك
ان كل شر في العالم لا يخرج عن قسمين اما الم واما سبب الالم وسبب الالم
مثل الافعال المسببة المقتضية للعذاب والالم الموجود لا يكون
الا لنوع عدم كما يكون سببه نوع اتصال ونوع الاتصال هو عدم
المنافي والاتصال الذي بينهما وهو الشر والفساد واما سبب الالم
وقد قررت في قاعدة جليلة ان اصل الذنوب هو عدم الواجبات
لا فعل المحرمات وان فعل المحرمات انما وقع لعدم الواجبات فصار
اصل الذنوب هو عدم الواجب واصل الالم هو عدم الاتصال ولهذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم في خطبة الحاجة ان يقولوا فنستعيذ
من شر النفس الذي ينشأ عن ذنوبها وخطاياها ونستعيذ من سيئات
الاعمال التي هي عقوبتها والامها فان قوله ومن سيئات اعمالنا قد
يراد به السيئات من الاعمال وقد يراد به العقوبات فان لفظ السيئات

وكتب الله

في كتاب الله يراد به ما يسوء الانسان من الشر وقد يراد به الاعمال السيئة
قال تعالى وان تمسسكم سيئة يفرحوا بها وقال وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ومعلوم ان شر النفس
هو الاعمال السيئة فتكون سيئات الاعمال الشر والعقوبة التي صلة بها
ليكون مستعيذا من نفس السيئات الاعمال السيئة وعقوبتها كما في الاستعاذة
المأمور بها في الصلاة اعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب
القبر ومن فتنة المسيح الدجال فامر بالاستعاذة من عذاب الاخرة و
عذاب القبر خوف من سبب العذاب وهو فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح
الدجال وذكر الفتنة الخاصة بعد الفتنة العامة فتنة المسيح الدجال
فانها اعظم الفتن كما في الحديث الصحيح ما من خلق آدم الى قيام الساعة
فتنة اعظم من فتنة المسيح الدجال **فصل** اذا ظهر ان العبد
وكل مخلوق فقير الى الله محتاج اليه ليس فقيرا الى سواه فليس هو مستغنيا
بنفسه ولا بغير الله فان ذلك الغير ايضا محتاج ومن المأثور
عن ابي يزيد رحمه الله انه قال استعاذة المخلوق بالمخلوق كاستعاذة
الغريق بالغريق وعن ابي عبد الله القرشي انه قال استعاذة المخلوق بالمخلوق
كاستعاذة المسجون بالمسجون وهذا تقريب والا فهو كاستعاذة العدم بالعدم
فان المستعان به بانما يخلق الحق فيه قوة وحولا والا فليس من نفسه
شيء قال سبحانه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وقال تعالى فيما هم بضارين به من احد الا باذن الله واسم
العبد يتناول معنيين **احدهما** يعني العابد لربه كما قال ان كل من في
السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وقال تعالى وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها وقال تعالى يد به السموات والارض كل له قانتون

وقال سبحانه ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها والداخر
بمعنى العابد وهو الذي يعبده ويستعينه وهذا هو المذكور في قوله وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال تعالى عن ابليس يا بها عباد الله
لا غالب لكم اليوم وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله الا عبادك
منهم المخلصين وقوله سبحانه يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون وقوله تعالى واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب وقوله
فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله نعم العبد انه اواب وقوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه وهذه العبودية
قد تختلف الانسان منها تارة واما الاولى فوصف لازم اذ لا يريد
بها جبرا بان القدرة عليه وتصريف الخالق له فان هذا المخلوق قابله وعبودية
امر ذاتي له ولا وجود له بدون ذلك والحاصل ضروري لكل المصنوعات
المخلوقات وبذلك هي آية لخالقها وفاطرها اذ لا قيام لها بدونه وانما
يتغير ما يشهد هذا الخضوع والاضطرار وعزوبه عن قلوبهم وفي
الاستسلام والانقياد لمن انت اليه فقير وهو ربك والهك
الغني الذي انت له عبد وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
واليه يرجعون وعامة السلف على ان المراد بالاسلام هو
استسلام كل له بالخضوع والذل لا مجرد تصريف الرب لهم كما في قوله ولله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وهذا الخضوع هو ايضا لازم
لكل عبد لا بد له منه وان كان معرضا احيانا لاعراض عارية والا
فمستكبر فلا بد له عند التحقيق من الذل والخضوع له وهذا العلم والعمل
هو امر فطري ضروري فان النفوس تعلم بفقرها الى خالقها وتذل لمن

افتقرت اليه

افتقرت اليه وغناه عما سواه عبوديته الى الفرد فانه يسأله مغفرة الذنوب
والرضا وهو شهود الرب بيده بالاستعانة والتوكل والدعاء والسؤال
ثم هذا لا يكفيها حتى تعلم ما يصلحها من العلم والعمل وذلك هو عبادته
والانابة اليه فان العبد انما خلق لعبادة ربه فصلاحه وكماله ولذته
وفرحه وسروره في ان يعبد ربه وينيب اليه وذلك قدر زايد على
مسئلته والافتقار اليه فان جميع الكائنات حادثة بمشيئته قائمة
بقدرته وكلمة صالحة اليه مسلمة له طوعا وكرها فاذا شهد
العبد ذلك وسلم له وخضع فقد منه بربه وقضى حاجته وفقره
اليه وصار سائلا له متوكلا عليه مستعينا به اياه واياه بسأله بخلاف
المستكبر عن التعرض عن مسئلته ثم هذا المستعان به السائل له اما ان
يسأل ما هو مأمور به او ما هو منهي عنه او ما هو مباح له فالاول حال
المحسنين السعداء الذين حالهم اياك نعبد واياك نستعين وحال الكفار والثاني
والفساق والعصاة الذين معهم ايمان به وان كانوا كفارا كما قال وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون فهم مسؤ منون بربهم بيته مشركون في عبادته
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعي يا حصين كم تعبد قال سبعة
آلهة ستة في الارض وواحدة في السماء قال فاي هم ترى اعلم رغبتك ينفعك
الله بها فاسلم فقال اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي رواه الامام احمد
وغيره ولهذا قال سبحانه واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون اخبر سبحانه
انه قريب من عباده يجيب دعوة الداع اذا دعاه فهذا اخبار عن
ربوبيته لهم واعطائه لسؤالهم وان كانوا مع ذلك كفارا من وجه

آخر وعشاقا او عصاة قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقال تعالى واذا
مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره
مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون فهذا
وشاهده في القرآن كثيرة ثم امرهم بامرين فقال فليستجيبوا لي وليؤمنوا
بي لعلهم يرشدون فالاول ان يطيعوه فيما امرهم به من العبادة والاستعانة
والثاني الايمان بربوبيته والوهيته وانه ربهم والههم وهذا
قبل اجابة الدعا يكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة
وانه عقب الدعا بقوله فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي والطاعة و
العبادة هي مصلحة للعبد التي فيها سعادته وبخاره سواء اجابه دعاءه
واعطاه سؤله فقد يكون مفسدة وقد يكون مضرة قال تعالى ويدع
الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقال تعالى ولو
يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم وقال تعالى
عن المشركين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقال تعالى ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خيرا لكم وقال تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى واتل عليهم نبأ
الذي اتيناه ايتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه الاية
وقال لمن حاصل فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع
ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله

على الكاذبين

على الكاذبين قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل على اهل جابر
فقال لا الله عوا على انفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون

فصل فالعبد كما انه مفتقر الى الله دائما في اعانته واجابة
دعوته واعطاء سؤاله وقضاء حوائجه فهو مفتقر اليه في ان يعلم
ما يصلحه وما هو الذي يقصده ويريده وهذا هو الامر والنهي
والشريعة والا فاذا قضينا حاجته الى طلبها واراداها ولم يكن
مصلحة له كان ذلك ضررا عليه وان كان في الحال له فيه لذة ومنفعة
فالاعتبار بالمنفعة الحاصلة او الراجحة وهذا مقدر عرفا الله
عباده برسله وكتبه علومهم وزكوهم وامرهم بما ينفعهم ونهوهم
عما يضرهم وبينوا لهم ان مطلوبهم ومقصودهم ومعبودهم يجب ان
يكون هو الله وحده لا شريك له كما انه هو ربهم وخالقهم وانهم ان اشركوا
عبادته او اشركوا به غيره حضر واحضروا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا
وكان لها اولوه منافقة ومعرفة ورجال ومال وغير ذلك وان كانوا
نوافيه فقرا الى الله مستعينين به عليه معرضين بربوبيته فاضر
عليهم ولهم بئس المصير وسوء الدار وهذا هو الذي تعلق به الامر الديني
الشرعي والارادة الدينية الشرعية كما تعلق بالاول الامر
الكوني القدري والارادة الكونية القدرية والله سبحانه قد امتن
على المؤمنين بالاعانة والهداية فانه بين لهم هداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب واعانهم على اتباع ذلك علما وعملا كما من عليهم و
على سائر الخلق بان خلقهم ورزقهم وعافاهم ومن على اكثر الخلق

بان عرفهم ربهم بنفسه لهم وحاجتهم اليه واعطاهم سؤالهم واجاب دعاءهم
قال تعالى يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فكل
اهل السموات والارض فضلا من الدرجات الرفيعة قوم لم يعبدوه
ولم يستعينوه وقد خلقهم ورزقهم وعافاهم وقوم استعانوه
فاعانهم ولم يعبدوه وقوم طلبوا عبادته وطاعته
ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه والصنف الذي عبدوه و
استعانوه واعانهم على عبادته وطاعته وهؤلاء هم الذين
امنوا وعملوا الصالحات فقد بان سبحانه ما خصه به الله من منانه
من قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون

وقف لا يباع ولا يشترى وقفه عبد الله

آخرها عودة الموحدين والاخلاص والحمد لله
وحده والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده وعلى
آله وصحبه اجمعين

لكعب بن زهير رضي الله عنهم

لو كنت اعجب من شيء لاعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

سئل الشيخ